Issue 6309 Thursday 28/3/2019
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6309 الخميس 20 من رجب 1440 هـ 28 من آذار (مارس) 2019 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21. UK

## عبد الحسين شعبان في داله ومدلوله

# ضوء سلام عادل ودوره في الحركة الشيوعية

محمد جواد فارس
لندن

في البدء لا بدّ من الإشادة بما كتبه ويكتبه الدكتور عبد الحسين شعبان من كتب موسوعية في مواضيع متنوّعة سياسية واقتصادية وفلسفية وحقوقية وثقافية تشكل إسهاماً في رفد المكتبة العراقية والعربية حيث بلغ عدد إصداراته ما يزيد عن 70 كتاباً ومؤلفاً، صب فيها عصارة أفكاره ووجهات نظره وتجربته الغنية مطعّماً إياها بالمعلومات القيّمة، تلك التي يستقيها من مصادرها المختلفة فيخضعها للتحليل والنقد في مسيرة طويلة ومضنية في البحث عن الحقيقة. ولعل مثل هذا العمل الفكري الجاد والمسؤول يساعد القراء من الأجيال الشابة ليعرفوا تاريخ العراق الحديث وحركته الوطنية واليسارية بشكل خاص، لكي تكتمل الصورة من جوانبها المختلفة لمن يريد البحث والتقصّي.

والإصدار الأخير ونعني به كتابه عن " سلام عادل – الدال والمدلول" الذي وقّعه في معرض بغداد للكتاب وفي احتفالية كبرى في نادي العلوية مع ندوة أقيمت عنه، يأتي بمناسبة الذكرى الـ 56 لاستشهاد سلام عادل الذي يمثل شخصية تاريخية لعبت دوراً مهماً في تاريخ العراق الحديث والحركة الشيوعية على النطاق العربي.

ولد خالد الذكر حسين أحمد الرضي المكنّى بسلام عادل في مدينة النجف عام 1924على الأرجح من عائلة دينية ودرس وتخرج من دار المعلمين الابتدائية وانتمى إلى الحزب العام 1944 وتعرّف على قائد الحزب يوسف سلمان يوسف (فهد) وتبوء مراكز قيادية عديدة منها قيادة المنطقة الجنوبية التي شملت البصرة والعمارة والناصرية ثم تبعها بقيادته للجنة بغداد وبعدها للجنة الفرات الأوسط ثم أصبح أميناً عاماً للحزب العام 1955.

خلال عمله اعتقل وفصل من وظيفته وعمل عاملاً ومارس مهماته الحزبية في العمل السري، وتزوج من ثمينة ناجي يوسف وهي رفيقته وشريكة حياته وأنجبت منه بنتان وولد (إيمان وعلي وشذى) ، وقد عرض الدكتور شعبان أهم محطات حياته وسجاياه الشخصية ومواقفه المبدئية وخلافاته مع عدد من المسؤولين القياديين البيروقراطيين الذين سبقوه مثل مالك سيف وحميد عثمان، ليصل إلى قصة استشهاده المثيرة بعد انقلاب الثامن من شباط عام 1963 في قصر النهاية السيء الصيت. وعلى الرغم من اطلاعنا على تاريخ سلام عادل ودوره، لكنني اكتشفت في مطالعتي للكتاب قضايا كثيرة تستحق التوقف عندها فقد عالج الباحث مشكلات الحزب والتحديات التي واجهته والأخطاء التي وقع فيها وما تعرّض له من تصفيات وإبادات بموضوعية وله وجهات نظره الخاصة، ولاسيّما ما حدث في الموصل وكركوك ومن عمليات هيمنة على الشارع والإرهاب الفكري في العام 1959كما يسمّيه، وكان يدعم وجهات نظره بالوثائق والشهادات والحوارات مع قيادات شيوعية، إضافة إلى معايشته وتجربته الشخصية، وهو ما أضفى على الكتاب حيوية، لاسيّما وقد حاول إظهار الوجه العروبي للحزب عبر وثائق الكونفرنس الثاني العام وكذلك عبر وثيقة رد على أفكار 1956 برجوازية تصفوية العام 1957 التي كتبها سلام عادل أو أشرف عليها كما يقول، وذلك رداً على بعض التوجهات الخاطئة لدى بعض الشيوعيين الأكراد.

غلاف الكتاب

**شجاعة نادرة**

وقد أبرز المؤلف الشخصية الاستثنائية والمبدئية العالية والشجاعة النادرة والمؤهلات القيادية التي تمتع بها سلام عادل دون أن ينسى أخطاء تلك الفترة والتحديات التي واجهها، خصوصاً بعد ثورة 14 تموز، والصراعات الجانبية التي أنهكته، إضافة إلى ظروف موضوعية منها على المستوى الدولي: الصراع الصيني- السوفييتي ثم الصراع بين جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم، وانعكاسات ذلك على الصراع بين الشيوعيين والقوميين ، واندلاع الحركة الكردية والالتباس في الشعارات والصراع مع قاسم بين التأييد والتنديد.

ويُبرِز الكاتب دور سلام عادل الجامع والموحّد والمقرّب بين الرفاق لتحقيق وحدة الحزب على أساس مبدئي وإنهاء الانقسامات والانشقاقات التي نخرت كيانه وأضعفته، خصوصاً انشقاق راية الشغيلة، إضافة إلى انشقاقات أخرى، وقد تمكن سلام عادل بصبره وحكمته وبالتنازلات المتبادلة وبالاستعانة بالأشقاء ولاسيّما الحزب الشيوعي السوري والرفيق خالد بكداش إنهاء الانشقاق واستعادة وحدة الحزب دون شروط مسبقة، دون أن ينزّه أحد من الأخطاء والنواقص والإجراءات البيروقراطية بما فيها قيادة القاعدة الجسم الأساسي للحزب.

لقد أسهم سلام عادل في بناء الجبهة الوطنية وسخّر كل إمكانات الحزب لقيامها لأن عقله الاستراتيجي كان منصبّاً على أن نجاحها سيقرّب من نجاح الثورة، وهكذا تشكلت جبهة الاتحاد الوطني العام 1957وتألفت من الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الديمقراطي الكردستاني ،الذي نظم الحزب معه اتفاقاً خاصاً بسبب معارضة الأحزاب الأخرى لانضمامه، إضافة إلى الحزب الشيوعي. وكان هدف سلام عادل إنهاء هيمنة المستعمر البريطاني واستغلاله لثروات العراق ، وإلغاء المعاهدات مع بريطانيا وأمريكا والقواعد العسكرية في الحبانية والشعيبة. وعند نجاح الثورة تشكّلت أول حكومة ضمت وزراء من المشتركين في الجبهة ما عدا الحزب الشيوعي العراقي ، واتخذت خطوات لتعزيز الاستقلال الوطني ، وتم إعلان الجمهورية العراقية وإنهاء الملكية. ومن إنجازاتها الخروج من حلف بغداد ، والانسحاب من نظام الكتلة الإسترلينية وتحرير العملة العراقية وسن قانون الإصلاح الزراعي ، وقانون الأحوال الشخصية وإعطاء المرأة حقوقها ، والبدء بالتفاوض مع شركات النفط الاستعمارية لاستعادة حقوق العراق الذي تجسّد في سن قانون رقم 80 لعام 1961.

أضاء الباحث موقف سلام عادل من القضية القومية معتبرا أن حركة الانبعاث القومي العربي "حركة تقدمية ديمقراطية"، وهنا أريد الإشارة إلى موقف فهد من قضية فلسطين برسالته من السجن بعد صدور قرار التقسيم عام 1947 التي ورد فيها : إن موقف الاتحاد السوفيتي كان بسبب الأوضاع والمؤامرات والمشاريع الاستعمارية المنوي تحقيقها في البلاد العربية وفي العالم، فالمهم في الموضوع هو وجوب إلغاء الانتداب وجلاء الجيوش الأجنبية عن فلسطين وتشكيل دولة ديمقراطية مستقلة كحل صحيح للقضية، ومن واجبنا أن نعمل بذلك حتى النهاية، وإذا لم نتمكن بسبب مواقف رجال الحكومات العربية ومؤامراتهم مع الجهات الاستعمارية، فهذا لا يعني أننا نفضّل حلاً آخر على الحل الصحيح ونرى من الأدق أن تتصلوا بأخواننا في سورية وفلسطين وتستطلعوا رأيهم في تحديد الموقف .

ولكن للأسف فثمة تداخلات عديدة دفعت الأمور باتجاه آخر. وأستذكر هنا عند صعود الخلاف الصيني – السوفييتي، وزعت قيادة سلام عادل كراس بالم دات سكرتير الحزب الشيوعي البريطاني الموسوم إلى أين تسير الصين؟

**انحياز موقف**

وكان ذلك بمثابة انحياز إلى الموقف السوفيتي اتجاه الصين بعد نقاشات عديدة آنذاك. ولسلام عادل موقف متميز من القضية الكردية التي اعتبرها الوجه الآخر للقضية القومية العربية فأكّد على حقهما في الوحدة وتقرير المصير وعلى الجانب الملموس أكّد على الحقوق العادلة والمشروعة للشعب الكردي .

وقد صاغ الحزب شعاره في الستينات تحت عنوان " السلم في كردستان" بعد اندلاع القتال ومن ثم شعار "الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان العراق". وإذا كانت الصراعات قد أنهكت الحركة الوطنية فإن الجميع أخطأ وكان عليهم مناقشة أخطاء الماضي بروح التسامح والعمل المشترك والأهداف المشتركة ، خصوصاً وأن العراق وقع تحت الاحتلال بعد حكم دكتاتوري طويل الأمد، أما الذين مارسوا التعذيب وقاموا بالارتكابات فلا يكفي أن يقولوا اليوم أنهم مسؤولون عما حصل وإنما عليهم تحديد مسؤولية وصول البلاد إلى ما وصلت إليه ابتداء من التعاون مع الجهات الأجنبية وشركات النفط والمجازر التي ارتكبت وصولاً إلى الاعتذار لدم الشهداء وفي مقدمتهم سلام عادل وجمال الحيدري ومحمد حسين أبو العيس وعبد الرحيم شريف وجورج تلو ونافع يونس وغيرهم.

# شعبان يرسم الصورة الحقيقية لسلام عادل

مهدي السعيد
لندن

حين اجتاحت النازية أوروبا الغربية في أربعينات القرن الماضي، كانت بعض شعوبها بعيدة عن معرفة الكثير من الحقائق التي واجهتها شرائح مجتمعاتها أو قادة تلك الشرائح. ولكن بعد هزيمة النازية وانحسار ظلها، بدأ بعض مثقفي ومفكري تلك الشعوب البحث عن المزيد من الحقائق التي لم تكن معروفة لهم قبل ذلك الحين إلّا النزر اليسير منها.

وبعد اكتمال الصورة بمضي الوقت أخذت تتكشّف الكثير من الحقائق المبهمة، وبفضل بعض الباحثين من ذوي الباع الطويل سُلطت الأضواء على ما قد جرى بروح الحرص الشديد لقراءة باطن التاريخ الغامض.

ولعلي وأنا أقرأ كتاب الدكتور عبد الحسين شعبان والموسوم بـ "سلام عادل ... الدال والمدلول وما يمكث وما يزول"، وكأني أقترب من تلك الحقيقة، لاسيّما بقراءة ملامح شخصية سلام عادل كاملة ودون أدنى إضاعة للجزئيات.

وقد أدركت الآن وبعد فوات هذه الأعوام الطويلة من العمر أن دور الفرد في المجتمع يأخذ خصوصيته من جوهر العقيدة أو الفكر الذي يؤمن به، فهناك من يوظف فكره باتجاه مخالفة القيم الإنسانية فيتعلق بنزعة الشر التي تقوم على أساس تصفية الخصوم والمعارضين له في الفكر والسلوك، وهناك نزعة مضادة ومختلفة قطعاً تنطلق من توطيد حياة مزهرة ونافعة للجميع. وفي أحيان كثيرة يتدخل تأثير السياسة من بوابة الصراع الآيديولوجي المحتدم بين الخير والشر كعامل مؤثر في حياة الأفراد والمجتمع، فإما أن يحول هذه الحياة إلى مأساة أو إلى ملهاة، وفي أغلب الظروف فإن دفّة المأساة هي التي تسود، لأنها تتكرّر، بينما ظروف الملهاة تأتي لمرة واحدة، ثم تستقر إلى ما لا نهاية.

**صراع سياسي**

كتاب عبد الحسين شعبان يسلط الضوء على واقع الصراع السياسي المعقد الذي كانت لغة الدم هي السائدة فيه بدل الحوار والجدل، حيث بحث بدقة وعمق ما حصل في العراق المعاصر ، ولاسيّما مرحلة الستينات من القرن الماضي، فقد خرج حزب البعث العربي الاشتراكي عن جادة المألوف واختار سياسة الانتقام الوحشي من خصومه ونزع جلده كحزب مدني يعتمد الحوار والمنطق إلى "عصبة انتقامية" دمرت الحياة الاجتماعية وألحقت بالعراق أضراراً كبيرة للغاية لازالت مفاعيلها سارية حتى الآن. لم يكتف شعبان بإبراز سيرة سلام عادل المُبدئية وخصاله الشخصية الإنسانية والقيادية، بل خصّص جزءاً مهماً من كتابه للحديث عن معاناته الإنسانية الفائقة بعدما ألقي القبض عليه وأخضع للتعذيب الجسدي المميت والذي لا يمكن تحمّله لولا صلابته الفولاذية وإرادته التي حيّرت جلاديه.

وتبقى هناك مسألة مهمّة تثير التساؤل المستمر ألا وهي كيف تسنّى للسفاحين أن يذبحوا بدم بارد زعيماً لحزب وطني ساهم وبشكل فعّال في بلورة النضال الوطني ضد الاستعمار ودوره المشهود في بناء جبهة الاتحاد الوطني وفي انتصار الثورة وفي ترسيخ الكثير من المفاهيم والأفكار التي عبّرت عن طموح الشعب العراقي ودعت إلى تحرّره؟ وكيف أن روح الانتقام البشع لم تتورّع ولم تقف عند حدود المشاعر الإنسانية التي تميّز البشر عن الحيوانات؟

فأجهزت عليه دون أي اعتبار وطني سياسي أو أخلاقي. لقد وزع الدكتور شعبان الكتاب على مدى ثمانية أقسام توزيعا ملائماً، فجمع بين السيرة الذاتية لسلام عادل وشهادات جلّاديه أو مريديه،لاسيّما من الذين عاصروه ، ثم ختم بحثه القيّم والمتميّز برزمة من الوثائق والتقارير السياسية المرتبطة بذلك، وهما تقرير الكونفرنس الثاني (1956) ووثيقة رد على أفكار تصفوية برجوازية (1957) وهما مساهمتان مهمتان لسلام عادل ، حاول شعبان أن يقدّم لهما قراءة نقدية جديدة ضمن منهجيته السردية .

سلام عادل

عبد الحسين شعبان

**زوايا مختلفة**

لم يكتف الدكتور شعبان بسرديته المثيرة عَن "سلام عادل" وإنما تناول الحركة الشيوعية من زوايا مختلفة فكرية وسياسية عبر شخصية هذا المناضل الكبير فقط راسماً لنا ملامح مرحلة هامة من تاريخ العراق السياسي، التي حاول قراءتها بموضوعية ورؤية عقلانية منفتحة وبروح النقد والنقد الذاتي، خصوصاً وأن تلك المرحلة التي حققت منجزات غير قليلة بالخروج من حلف بغداد ونظام الكتلة الإسترلينية وإلغاء المعاهدات غير المتكافئة مع بريطانيا والولايات المتحدة اتسمت أيضاً بنشاط محموم للردّة التي حصلت في 8 شباط 1963 فعطلت المساعي لبناء بلد حر ومستقل ويتمتع بالازدهار والتطور، وهو الوصف الذي يمكن انطباقه على تلك المرحلة المأسوية.

# أخطر مقابلة في التاريخ

محمود الفلاحي
بغداد

لم تفصح المستندات التركية عن المقابلة التي جرت بين هرتزل والسلطان عبد الحميد الثاني بتاريخ ولكن تيودور 1901أيار عام /18 هرتزل دون في مذكراته حيث قال (قلت له بواسطه ابراهيم ) ( المترجم ) اني اكرس نفسي لخدمته لانه يحسن الى اليهود واليهود في العالم كله مدينون له بذلك ولاني بشكل خاص مستعد لتادية اي خدمة له وخاصة الخدمات الكبيره ( يوجد كثيرون لاداء الخدمات الصغيره ) واكدت له اني لا انوي نشر اي شئ عن اجتماعنا الحاضر وبامكانه ان يتحدث الي بثقه مطلقه فشكرني وقال اني دائما" صديق لليهود والواقع اني لا اعتمد الا على المسلمين واليهود لا اثق الثقه نفسها برعاياي الاخرين فرثيت المظالم التي نعانيها في العالم وقال انه حافظ دائما" على بقاء امبراطوريته مفتوحة امام اللاجئين اليهود كملجئ لهم قلت عندما ابلغني الاستاذ فامبري بان جلالته سيتفضل باستقبالي اخذت افكر بقصة اندروكليس والاسد القديمة الجميلة فجلالتك هو الاسد ولعلني انا اندروكليس وربما كانت هناك شوكه يجب سحبها والشوكه هي الدين العام اذا امكن ازالتها تمكنت تركيا من استعادة نشاطها وحيويتها فتنهد وابتسم وهو يتنهد وترجمة ابراهيم منذ ان بدأ عهد جلالته المجيد وجلالته يسعى عبثا" لازالة هذه الشوكه التي غرزت في عهد اسلافه العظام والتي يبدو ان من المستحيل الخلاص منها لا احسن من ان اسهم انا في المساعدة ان امكن قلت حسنا" اذا" اضن اني استطيع الاسهام لكن الضروره الاولى هي السرية المطلقة رفع السيد عينيه الى السماء ووضع يده على صدره واخذ يتمتم انه سر قلت ان الحاحي هو الان الدوله التي تريد اضعاف تركيا سوف تسعى جهدها لمنع ستعادة نشاطها لذلك ستسلك كل سبيل لمنع هذه العملية وقل اني اريد تنفيذ العملية بواسطة اصدقائي في كل دور البورصه في اوربا شرط موافقة جلالته غير انه كلما يحين الوقت يجب ان تاخذ الموافقة شكلا" خاصا" في مصادقة اليهود ويجب اعلانها بشكل مناسب.

**وجه حبور**

ترجم ابراهيم كلمة سيدهً بوجه حبور لجلالته جوهري يهودي قد يقول له شئ مناسبا" لليهود ويامره بان ينشر في الصحف ولجلالته ايضا" حاخام اكبر ليهود حاخام باشي قد يقول له ايضا" شيئا" مماثلا" فاعترضت على ذلك فتذكرت ان الدكتور ماركس اخبرني مره ان حاخام باشي بصقه مرة لدى ذكر اسمي فقلت كلا لن يخدم ذلك مقاصدنا لن تذاع على العالم بشكل بخدمنا ساسمح لنفسي فيما بعد بان اشير على جلالته اللحظة التي نستطيع فيها الافادة منها اريد ان اعبئ مشاعر اليهود الايجابية للعمل في سبيل الامبراطورية التركية لذلك يجب ان يكون الاعلان صفة الامر اما الكلام مع حاخام باشي فيبقى في تركيا لوحدها فقط كل ما تحتاجه هذه البلاد الجميلة هو المهارة الصناعية لشعبنا يغتني الاوربين الذين ياتون عادة الى هنا بسرعة ثم يخرجون بسرعة بغنائمهم للوسيط حق الربح الامين بالطبع لكن عليه ان يبقى ذلك في البلاد حيث جمع ثروته هز السيد برأسه موافقا" وقال لابراهيم ما اعاده عليه فرحا" لا يزال يوجد في بلادنا ثروات غير مستثمره اليوم فقط تلقى جلالته برقيه من بغداد باكتشاف حقول نفط فيها اغنى من حقول نفط القوقاز واذا كنت سابقى هنا مدة كافية فان جلالته يود ان القي نظره على المناطق التي تمتد فيها سكة حديد الاناطول فالارض على جانبي السكة مثل جنة وهناك ايضا" حديد خام ومناجم ذهب وفضة كان الذهب في عهد اسلاف جلالته العظام يستخرج ويسبك في سبائك ويصاغ في عملة وبهذه الطريقة كانوا يدفعون للجنود رواتبهم والواقع اني لاحظت ان السيد حينما كان يتفوه بكلماته الاخيره كان يقيس في الهواء الى مسافه معينه بكلتا يديه والظاهر انه قصد بيها احجام قضبان الذهب الصغيره ثم حصل شئ مفاجئ طلب مني السيد بواسطة ابراهيم ان اوصي له ماليا" ما يقدر ان ينشئ موارد جديده للبلاد مثلا" ضرائب غير باهظة جدا" من نوع ضرائب الكبريت هذا البرهان على ثقته في ارض غروري لكني قلت ان الامر ينطوي على مسؤولية كبيره علئ لاني لمهمه من هذا النوع لا استطيع ان اذكر الا من اثق بكفائ تـــه واخلاقه لكني قلت اني افضل ان انظر في المسأله وان اعلم جلالت السلطان بمجرد ان اعثر على الرجل المناسب وبالمناسبه فكرت بان الرجل يجب ان يدرس الوضع الاقتصادي في السر فقط ويقدم نتائجه الى وعلى اساس هذه المعلومات استطيع ان اصوغ برنامجي للاصلاح الاقتصادياً.

**مركز رسمي**

لكن السيد كان له رأئ اخر انه يفضل ان يعطي الرجل مركزا" رسميا" لان ذلك يثير انتباها" اقل يجب الحاقه بوزارة المال كمدير عام ويقدم لك التقارير الدورية فاعترفت بسلامة هذه الفكره وسالت كيف سارسل رسائلي الى جلالته هل احتاج الى علامة او خاتم خاص لذلك قال جلالته بواسطة ابراهيم ان خاتمي يكفي ان الرسائل التي تحمل خاتمي سوف تسلم راسا" الى جلالته بواسطة تحسين بيك ثم انتقل السيد الى شمروع تصفية الدين العالم المعلق وقد شرح لي المشروع تالفت التصفية من عقد دين جديد بدل القديم مما يوفر مليون ونصف المليون جنيه لمواجهة عجز السنة الماضية ماذا هذه الكمية فقط وابديت دهشه حزينه كذلك فعل السيد ورجوته ان اعلم كل شئ عن مشروع التصفية لاحكم ما اذا كان يجب المضي فيه فقد تكون التصفيه جيده وقد لا تكون علئ اولا" ان اعترف تفاصيل الخطة فامر جلالته بتلبية طلبي سيعهد الى احدهم باعطائ المعلومات اللازمة واستانفنا عن موضوع اخر وقد اثرت اهتمامه وعرضت عليه برنامجنا للمستقبل بخطوطه العريضه حول كل ما يمكن في هذه المدينة الرائعة وفي الامبراطورية وحتى احصل لهما على اوسمه ذكرت رفيقتي ولفسون ومرموك الذين يمكن الافادة منهما يمكن انشاء مصادر جديدة للدخل كا احتكار القوه الكهربائية مثلا" فاخبرني جلالته بواسطة ابراهيم انه يوجد في القصر مولد كهربائي وان جلالته مسرور في النور الكهربائي فهو افضل من انواع الاخؤى في النور ثم تحدث عن امكانات تحسينات اخرى في المدينة مثلا" جسر جديد في اسطنبول مرتفع لدرجة تمر تحته اكبر السفن في ميناء القرن الذهبي وهي فكرة مرموك الا ان جلالته رجاني ان اصرف النظر عن هذا المشروع حاليا" وان اشغل نفسي اولا" بازالة الدين العام وكنت قد استنفذت قواي لابد ان المحادثة امتدت اكثر من ساعتين لقد حكت الخيوط كما شئت فتاكد انه يود ان يسمع تفاصيل اخرى مني لذلك جعلت الحديث يسترخي والسيد ايضا" لم يعد يجد شيئا" يتحدث عنه وبعد لحظة صمت وقف واعطاني يده وردد انه سر وبعد ذلك طلبت تصريحا" لصالح اليهود اعين موعده فيما بعد وكنت افكر في المؤتمر واخيرا" طلبت عرضا" مفصلا" للوضع الاقتصادي ولمشروع التصفية فوعدني بذلك كله.

تيودور هرتزل

عبد الحميد الثاني

## رسالة إلى الإعلام المحلي

يؤدي الأعلام دوراً حيوياً ومؤثراً في توجيه مسار الأحداث والتفاعلات على المستويين الداخلي والخارجي، وخاصة بعد ثورة الاتصالات والتطور الذي لحقَ بوسائل الإعلام، المرئية والمسموعة والمقروءة خلال السنوات القليلة الماضية .

ليس من المبالغة القول إن الإعلام بات يعد إحدى أهم أدوات تنفيذ السياسة الخارجية لأي دولة، وأهم وسائل تشكيل الرأي العام وتوجيهه ، وكذلك أحد أهم مظاهر القوة الشاملة، ليس فقط لأنه يعبر عن توجهات السياسية العامة وإبراز وجهة نظرها تجاه القضايا المختلفة ويعزز من مصالحها الوطنية على المستويات كافة، وإنما أيضاً لأنه يبرز تطورها الحضاري، ويقدم صورة إيجابية عنها، وعما تشهده من نهضة شاملة في مختلف المجالات أمام العالم الخارجي .

الجميع صار يدرك أهمية الإعلام، ويعمل على تعزيز دوره في مختلف المجالات، سواء من خلال العمل على تطوير محتوى الرسالة الإعلامية كي تصل إلى أفراد المجتمع بكل شفافية، أو من خلال تشجيع الجهود الرامية إلى إعداد كوادر إعلامية وطنية تعبر عن أولويات المجتمع وقضاياه الرئيسية، حتى يقوم الإعلام بدوره الحيوي في خدمة وتنمية المجتمع وتعزيز المصالح الوطنية في الداخل والخارج.

أنفتح العراق بعد مرحلة التحول عام 2003 على العالم ليطلع على مجريات وتطورات الاحداث من خلال الانفتاح الاعلامي الكبير الذي شهده البلد ، بعد ماكان العراق يمتلك ثلاث فضائيات وعدد محدود من الصحف وعدم السماح للمواطن من استخدام الستلايت ، وكل وسائل الاعلام بتنوعها كانت موجهه ومُسيطر عليها من قبل الدولة ، وكانت الرسائل الإعلامية تحدث تأثيراً في المجتمع لانها كانت تركز دائماً على تشكيل رأي جمعي تجاه القضايا التي تكون ضمن اولويات الدولة ، اما بعد عام 2003 فكان افق الاعلام في العراق واسعاً وكانت الحريات تكاد ان تكون مطلقة (والحرية المطلقة كالسلطة المطلقة ستكون مفسدة مطلقة ) ، وتعددت وسائل الاعلام بتنوعها مع الانفتاح على العالم من خلال السماح باستخدام كل وسائل التواصل من خلال الهاتف النقال او الاطلاع على العالم من خلال استخدام الستلايت الذي يتيح للجميع الاطلاع ومتابعة اخبار العالم ، في ظل ثورة الانفتاح الكبيرة التي سبقنا بها العالم وشهدها العراق مؤخراً ، المؤلم اننا فقدنا شيئاً مهماً جداً إلا وهو محتوى الرسالة الاعلامية ، لم تعد بمستوى الطموح من حيث قوة التأثير والجمهور المستهدف وتشكيل الرأي المجتمعي ، وفي ظل التسابق المحموم من قبل وسائل الاعلام المحلية الحزبية ضاع الخطاب الوطني ، وطغى خطاب المصالح الضيقة الذي لايتعدى تأثيره جمهوراً ضيقاً جداً ، وفي ظل كل تلك التداعيات لم يعد الاعلام المؤثر الذي يمثل وجه نظر السياسية ويتناول المواضيع ذات الاهتمام الوطني وينقل حضارة وتأريخ ومعالم البلد ليكون الواجهة الحقيقية في ترسيخ المبادىء الوطنية عملياً ، لم تكن كثير من القيم المجتمعية حاضرة وسائل الاعلام الحزبية والتجارية ولم يكن الخطاب الوطني موجوداً بل يسجل حضوره كضيف شرف في موعد اجراء الانتخابات ويختفي عند الانتهاء منها .

وسائل الاعلام الحزبية والتجارية بخست حق الوطن والمواطن ورفعت من شأن الحزب والتاجر وبعض الساسة الفاشلين فكان الثمن باهظاً على جميع الاصعدة .

واذا اردنا ان نعد حجم تأثير وسائل الاعلام الحزبية في الشارع فقد فقدت جمهورها ولم يعد لها مشاهد ة ممكن ان تشكل منافسة في ميدان الاعلام لذا من يتابع ردة الفعل الكبيرة تجاه افتتاح قناة mbc العراق يتأكد ان ضعف الرسائل الاعلامية وخلوها من المحتوى الحقيقي جعل الخوف يدب في نفوس اصحاب القنوات محدودة التاثير والمشاهدة لانهم غير مهيئين لخوض المنافسة .

واود ان أشير الى قناة (الشرقية) العملاقة من حيث المهنية والموضوعية والحيادية في تناول المواضيع الاعلامية وتميزها بل وتفردها في تمثيلها الوطني الشامل لتنبري الى ساحة المنافسة لتُمثل العراق بتاريخه وحاضره والامل المعقود بمستقبله المشرق بأذن الله ، تحملت الكثير وملاكها الشجاع ودفعت كواكب من الشهداء لتبقى كلمة الحق عنوانها ، والصدق ديدنها ، والابداع العملي الملتصق بالابداع العلمي ومواكبة حركة التطور الاعلامي احدى أبرز اهدافها بل وهو من منحها الحيوية والتميز ، فلم تهتز من اي فضائية جديدة تدخل المضمار الاعلامي ، بل تضع نصب اعينها اكبر الفضائيات لكي تجتهد دائماً وتبحث عن كل ماهو متميز وتضعه امام مشاهديها ، فكسبت قلوب الاغلبية من خلال تَبنّيها الهَم العراقي ، وتنوع برامجها الاجتماعية التي زرعت البسمة على شفاه الفقراء ، اضافة الى رسالتها الوطنية الثابتة في الحفاظ على العراق ارضاً وشعباً بعز وكرامة ، دعونا نتعلم من تميز (الشرقية) ونجعلها مدرسة وعنوان تنافس لنرسخ من جديد رسالة اعلامية وطنية تُعيد للمواطن ثقته بوسائل الاعلام المحلية التي فقدت بريقها ، ولكي ننمي وندرب ملاكاً اعلامياً وطنياً محصناً قادراً على مواكبة التطور الاعلامي بتنوع وسائله ، والعمل على اعادة اولوياتنا الوطنية لكي يتمكن الاعلام من ترسيخ نجاح فشلت به السياسة ولاننسى مبدأ ان "لا سياسة ناجحة بدون اعلام وطني متميز" يحافظ على تراث الوطن وقيمه ومبادئه ويرسخ مفهوم (الوطن عنوان الكرامة ) .

كامل كريم الدليمي
بغداد

## غرق العبّارة والحكومة المحتارة

كشفت المأساة الدامية لغرق العبارة في مياه دجلة التي حصلت أثناء أحتفالات أعياد النوروز في مدينة الموصل المفجوعة والموجوعة بدمارها وخرابها اصلاً، والذي حصل على يد داعش ابتداء وماتلاه أثناء عمليات تحرير المدينة، وكذلك الفساد المستشري في هذه المحافظة ، من قبل المحافظ ومجلس المحافظة، ورؤساء الدوائر وبعض الفصائل المتحكمة فيها ، كشفت هذه المأساة خللاً بنيوياً مُرَكّباً في إدارة البلاد بشكلٍ عام، وفي الموصل بشكلٍ خاص، بل في مجمل العملية السياسية، والتي لم تتحوّل بعد،إلى نظامٍ سياسي واضح المعالم.

أن المتتبع لما يجري في العراق منذ عام ٢٠٠٣ يلاحظ مقدار الخلل والخطل والهزال في إدارة البلاد منذ مجلس الحكم، الذي أرسى دعائم المحاصصة الطائفية والعرقية، مروراً بالحكومة المؤقتة بزعامة أياد علاوي، والحكومة الأنتقالية برئاسة إبراهيم الجعفري، ثم الحكومة الدائمة ولدورتين برئاسة نوري المالكي،تلتها حكومة العبادي الذي كلما تكلم فأنه يهدد بضرب الفساد بيدٍ من حديد،ولكنه كان يضرب الفساد كلّ مرة بيدٍ من تنك إلى أن ضربَ نفسه وسقطَ بالقاضية ليسلمها إلى رئيس الوزراء "أو الذي يستضعف السيد عادل عبد المهدي، بسبب عدم إنتمائه إلى كتلة قوية يستند اليها، والذي اخبرنا في بداية إستيزاره، بأن إستقالته في جيبه، وأنه سيخرجها ويضعها على الطاولة، أذا لم يعجبه الوضع وأذا أحرجته الكتل السياسية التي جاءت به ولكنه لم ولن يفعلها لأن طعم رئاسة الوزراء حلو ومغري، حيث أتحفنا هذا اليوم بتصريحٍ ناري أرتعدت له فرائص الفاسدين، مفاده أنه سيضرب بيد العدالة لكل مَنْ يلعب ويزيد من جراحات العراقيين .

نعم سيداتي، سادتي أن الذي جرى ومازال يجري في العراق لم يحصل في اي بلد من بلدان العالم ،له نفس إمكانيات العراق المالية والبشرية والأجتماعية والتأريخية، والسبب هو تسلط الأحزاب الأسلامية والسياسية الفاسدة، متمثلة برؤسائها وشخوصها، الذين يرتبطون بعلاقات مشبوهه مع القوى الخارجية، والمنبطحين تماما لتلك القوى ودولها، حيث وضعوا أنفسهم أدواتاً لتنفيذ سياسات تلك الدول على حساب مصالح العراق وشعبه، حتى أوصلوا البلد إلى ماهو عليه الآن من دمار وخراب وإفلاس وموت مجاني وآخرها وليس أخيرها حادثة عبارة الموصل، التي كشفت ضعف الحكومة المحتارة، الوليد غير الشرعي للكتل المتنفذة الجاثمة على شعبها والمنبطحة للأجنبي .

أختتم مقالي هذا بحكاية شعبية لها علاقة بموضوع المقال سمعتها من أحد الأصدقاء، سأنقلها كما سمعتها باللهجة الدارجة مفادها .

(أحد الأشخاص ماتت زوجته، وكان له ولد من زوجته المتوفية هذي ، تزوج الرجل إمرأة من قريته، بعد مضي فترة على الزواج أخذت تُحَرِضْ زوجها على إبنه الوحيد فكان يعاقبه كل مرة بشكل شديد،هذه المرأة تجيد صناعة دهن الحُر(السمن الحيواني) وتضعه في الشكوة (الشكوة هي حافظة للدهن مصنوعة من جلد الماعز) ، كلما تصحو الصبح تأتي إلى الشكوة تجدها فارغة وقسم من الدهن مسكوب على الأرض،فتتهم الولد بأنه يسرق قسم من الدهن ويسكب الباقي، تأخذ بالصياح فيأتي الأب ويضرب إبنه ضرباً مبرحاً والولد ينكر علمه بموضوع الدهن ، مرتْ أيام والولد كل مرة يتحمل ضرب ابوه له فقرر أن ينطر( يحرس ليلاً) كي يعرف منو اللي يسرق الدهن، وبذيك الليلة اللي ينطر بيها شاف شي عجيب شاف مجموعة من الواوية (بنات آوى) من القرى القريبة دخلوا إلى بيتهم وأشروا إلى كلبهم الوحيد اللي هو مفترض يحرس البيت ، الكلب دخل إلى الغرفة الموجودة بيها شكوة الدهن وجلب الشكوة بفمه وفتحها للواوية اكلوا الواوية الدهن والكلب ينظر إلهم بأستمتاع وبعد فراغهم من أكل الدهن ، يلزمون سرِه على الكلب... أنتهت القصة والعبرة لمن إعتبر).

هسه قضيتنه وين؟ وين المشكلة ؟ وشنو ربّاط القصة. مشكلتنا بكلبنا اللي سمح للواوية يلزمون عليه سرِه، وبالشعب اللي ساكت وتارك الكلب براحته يفعلَ ما يشاء وأعتقد لا يوجد حل لمشكلتنا أذا منتخلص من الكلب الخائن.

نجاح سميسم
النجف